



وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (سورة طه: 114 - 115). وغيرها كثير من الآيات.. حيث نلاحظ أن هذه الآيات القرآنية الكريمة بعيدة عن إرادة العلوم المادية وما يشبهها مما هو ضمن اهتمام الإنسان ومرتبطة بجهده واحتياجاته، وأمّا تفسير العلم في هذه الآيات بما يشمل كل العلوم النافعة فهو تفسير متكلف فيه. نعم يكمن اهتمام القرآن بمختلف العلوم النافعة من خلال ما يلي:

أ. اهتمام القرآن بعزة الإسلام والمسلمين، فتدخل ضمن هذه الزاوية كل العلوم التي تساهم في تقدم المجتمع واستقراره ورخائه الاقتصادي وكل ما يُنأى بالمسلمين عن الذل والدونية في مقابل الأُمم الأخرى.

ب. دعوة القرآن لإحياء الأرض، أو استثمارها - باعتبارها قد جُعلت وأبيحت للإنسان - والذي قد يفهم منه الكناية عن الحث على استكشاف أسرار وخزائن هذا الكون الذي يتوقف على نمو العلوم المادية وتطورها (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا (سورة الملك: 15)).

ج. دعوة القرآن للمسلمين للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم والاستعداد التام لمواجهة خطط الأعداء وكيدهم.. فإنه يستلزم الدعوة للتزود بكل العلوم المساهمة في الوصول الى هذه الحالة بكل جوانبها العسكرية والاقتصادية وغيرهما.. (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (سورة الأنفال: 60)) (2).

يتضح مما سبق أن أشرف العلوم "بشكل مباشر" بحكم القرآن الكريم وبحكم منطقي هي العلوم التي تنسجم مع القرآن الكريم في معناه ففي الميزان على سيده رضوان الله والرحمة عند تفسير قوله تعالى "اقْرَأْ بِرَأْسِمْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (سورة العلق) قال: "قال الراغب: والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم، وبدل على ذلك أنه لا يقال: للحرف الواحد إذا تفوه به: قراءة.

وعلى أي حال، يقال: قرأت الكتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف والكلمات بضم بعضها إلى بعض في الذهن وإن لم تتلفظ بها، ويقال: قرأته إذا جمعت الحروف والكلمات بضم بعضها إلى بعض في التلفظ، ويقال قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه وكلماته في سمعه ويطلق عليها بهذا المعنى التلاوة أيضا قال تعالى:

رسول من ا يتلوا صحفا مطهرة البينة: 2.

وظاهر إطلاق قوله: ا اقرأ المعنى الأول والمراد به الأمر بتلقي ما يوحيه إليه ملك الوحي من القرآن فالجمله أمر بقراءة الكتاب وهي من الكتاب كقول القائل في مفتح كتابه لمن أرسله إليه: اقرأ كتابي هذا واعمل به فقله هذا أمر بقراءة الكتاب وهو من الكتاب.

وهذا السياق يؤيد أولاً ما ورد أن الآيات أول ما نزل من القرآن على النبي (صلى ا عليه وآله وسلم).

وثانياً أن التقدير اقرأ "القرآن أو ما في معناه"، وليس المراد مطلق القراءة باستعمال ا اقرأ استعمال الفعل اللازم بالإعراض عن المفعول، ..... قوله تعالى: ا اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ا أمر بالقراءة ثانياً تأكيداً للأمر الأول على ما هو ظاهر سياق الإطلاق" (3).

إذاً، مع هذا البيان الواضح يتركز أن ما يجب تعلمه هو "القرآن أو ما في معناه" في الدرجة الأولى ثم تأتي العلوم الأخرى في الدرجة الثانية إذا أريد بها تحقيق الأهداف القرآنية وفي الدرجة الثالثة العلوم عموماً.

ماذا بعد الوظيفة؟

أصبحت المسيرة للأفراد تكاد تكون موحدة لجميع أبناء البشرية في العصر الحالي من الناحية التعليمية والوظيفية حيث تبدأ بمرحلة الابتدائي إلى المرحلة الجامعية في الأعم الأغلب ثم تأتي مرحلة الوظيفة لكسب لقمة العيش والاستعانة على شؤون الحياة. تمتد المرحلة الوظيفية إلى 25 سنة غالباً من العمل اليومي ما عدا أيام الإجازات الرسمية، لذلك تستنزف الوظيفة تقريباً 240,000 ساعة من أصل 864,000 ساعة على مدى 25 سنة، أي 28% من وقته (4). فبناءً على ذلك، يتبقى من ذلك 144,000 ساعة أي بمعدل 4 ساعة يومياً إذا فرضنا أن هناك 8 ساعات للنوم وساعتين للعائلة أو الراحة.

والسؤال الجوهرى هنا هو أين يصرف الأكاديمي هذا الوقت الثمين من عمره؟؟

بناء على ما يذكره أحد رواد الإدارة وتطوير الذات أن الفرد ينبغي أن يكون لديه مجالين يركز فيهما جهوده المجال الأول "التخصص" والمجال الثاني "الاهتمام" ويقصد به أي مجال غير الوظيفة أو التخصص وإن كانا كليهما في مجال التخصص فأفضل وأفضل بأن يعمل مثلاً في الصيانة ويكون مجال اهتمامه أو

على كل حال، مما تقدم أطرح أسئلة على نفسي قبل الزملاء الأكاديميين:

هل العلم الديني "المبتلى فيه الفرد" لا يستحق أن يصرف له وقت بحيث يكون هو الاهتمام؟

ألا ينبغي أن تكون هناك مساحة لتقوية الفكر الديني الذي يتعلق بالعلاقة الأشرف "مع الله تبارك وتعالى ونبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة الطيبة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"؟

ألم تصغي إلى الرواية الشريفة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله التي تقول " ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصليهما العابد" وعن الصادق عليه السلام: "عالم أفضل من ألف عابد وألف زاهد" وعنه (عليه السلام): "يأتي صاحب العلم قدام العابد بريوة مسيرة خمسمائة" وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: "ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في عمله، خير من عبادة العابد سبعين عاماً" (5)، هذا والمقارنة مع العابد فما بالك بغيره؟

فيها لنرتقي عمرنا من وقت لها يصرف أن تستحق لا الجنة ومراتب الآخرة ثواب هل  
"بالعلم"؟ أم أن الزهد هنا محمود وحث عليه الشرع؟

أسوء الحالات هي أن تُقضى هذه الساعات في اللهو واللعب الذي يعبر عنه القرآن الكريم قائلاً:  
"اعْلَمُوا أَن زَمَمَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بِيَدِكُمْ °  
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَذَرَاهُ مُمْفَرَّةً ° ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ° وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ °  
وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ° وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ °"  
[20] حيث يقول سيد الميزان رضوان الله عليه في تفسيرها " اللعب عمل منظوم لغرض خيالي كلعب الأطفال، واللهو ما يشغل الإنسان عما يهمه، والزينة بناء نوع وربما يراد به ما يتزين به وهي ضم شيء مرغوب فيه إلى شيء آخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال، والتفاخر المباهاة بالأنساب والأحساب، والتكاثر في الأموال والأولاد.

والحياة الدنيا عرض زائل وسراب باطل لا يخلو من هذه الخصال الخمس المذكورة: اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وهي التي تتعلق بها هوى النفس الإنسانية ببعضها أو بجمعها وهي أمور وهمية

وأعراض زائلة لا تبقى للإنسان وليست ولا واحدة منها تجلب للإنسان كملاً نفسياً ولا خيراً حقيقياً.

وعن شيخنا البهائي رحمه الله أن الخصال الخمس المذكورة في الآية مترتبة بحسب سني عمر الإنسان ومراحل حياته فيتولع أولاً باللعب وهو طفل أو مراهق ثم إذا بلغ واشتد عظمه تعلق باللهو والملاهي ثم إذا بلغ أشده اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل العالية وتوله للحسن والجمال ثم إذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالأحساب والأنساب ثم إذا شاب سعى في تكثير المال والولد" (6).

وهناك من يصرف تلك الساعات في التجارة بآراء المنشغلين فيها بتقوية الجانب الاقتصادي وزاد همتهم ورزقهم العافية بكل صورها دنياً وأخراً فالشرع يحث على التجارة والروايات تقول إن تسعة أعشار الرزق في التجارة. ولكن ألا يعد ذلك مبالغة في طلب الدنيا بصرف معظم الوقت في جلب المال إذا كان راتب الوظيفة الرسمية يكفي لمتطلبات الحياة؟ بل حتى لو كان للخير قد لا يكون راجح إذا كان على حساب العلم الديني وطلبه الذي حثت عليه الروايات كما اتضح سبقاً.

وهناك من صرفها في الثقافة عموماً وخدمة مجتمعه ووطنه ثقافياً وهذا من أفضل الحالات مع شريكه في الفضل الذي صرف وقته في خدمة المجتمع بعمله التطوعي وخدمات أخرى جزاهم الله عن مجتمعاتهم وأوطانهم خير الجزاء. وأقل منهم مرتبة "المثقف" الذي أصبح مكتبة متنقلة، أو أقل نسبياً، بفضل قراءاته وتتبعه بل وبعضهم برع في فنون متعددة ولكنهم لم يفيدوا المجتمع لا بمقال ولا كتاب فأصبحوا كما قال ذلك العالم عندما أخبروه أن فلان حفظ الكتاب الفلاني فقال زادت نسخة والحال أن "زكاة العلم في نشره" كما ورد في بعض الروايات.

ومن أروع تلك الصور التي يشار إليها بالبنان في الوعي بهذه النقطة أولئك الذين قاموا بالانخراط في الدراسة الحوزوية بل البعض وصل بفضل الله ومنه بركة المولى صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف إلى مرحلة بحث الخارج والبعض حصل على شهادات أكاديمية من الجامعات الإسلامية. وهذا لا ينقص من قدر من انخرطوا في العلوم الأخرى ولكن هؤلاء المصداق الأسمى لتحقيقهم الهدف المنشود في سورة "اقرأ" كما سبق.

ولا تظن "أيها الزميل" أنه يجب أن نكون مثلهم، إن كنا نستطيع فيها ونعمت وما عدا ذلك فعلى المكلف أن يكون راسخاً في عقيدته وملماً أو متمكناً من فهم المسائل المبتلى بها وأن يكون سائراً على نهج محمد وآل محمد الأخلاقي وكفى ذلك بحد الضرورة عقيدةً وفقهاً وأخلاقاً. وكلما زدت كان أفضل فنحن هنا حالنا حال من ذكروا من أصحاب ذي القرنين عندما "انصرف راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطأ

الوادي الذي فيه الزبرجد، فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت أقدامهم وأقدام دوابهم: ما هذا تحتنا يا أيها الملك؟ فقال ذو القرنين: خذوا منه فإنه من أخذ ندم ومن ترك ندم، فمنهم من أخذ الشيء ومنهم من تركه، فلما خرجوا من الظلمة إذا هو الزبرجد، فندم الآخذ والتارك.

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رحم الله أخي ذا القرنين، لو ظفر بوادي الزبرجد في مبتداه ما ترك منها شيئاً حتى يخرج إلى الناس لأنه كان راغباً في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها" (7) وزبرجدنا معلوم لنا وقد حثنا المعصوم على الاستزادة منه كما مر في النصوص الشريفة السابقة مع العلم أن يوم القيامة يسمى يوم الحسرة و" ذلك لأن المجرمين يرون أنفسهم في أتعس حال بين يدي الحياة الخالدة، في الوقت الذي كانوا يستطيعون خلال أيام من الصبر والاستقامة ومجاهدة النفس والإيثار أن يستبدلوا ذلك بحياة مشرفة وسعيدة، وهو يوم أسف أيضاً حتى بالنسبة إلى المحسنين، فهم يأسفون على أنهم: لماذا لم يحسنوا أكثر" (8).

## الخلاصة

1. العلم بصورة عامة شريف ما عدا العلم الذي يستخدم لضرر الإنسان والكون كعلم السحر وأمثاله.
2. العلم الديني أشرف العلوم لشرف موضوعه والعلوم الأخرى ممكن أن يتقرب الفرد بها إلى الله عز وجل إذا كان يهدف بها تحقيق ما دعا إليه القرآن الكريم والسنة الشريفة.
3. العمل الصالح القائم على قواعد علمية راسخة هو زادنا الحقيقي ثم يأتي المال ليوظف لتحقيق معنى العمل الصالح "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَآتُوا تَقْوَىٰ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَابِ" [البقرة: 197]. فالعلم الديني كـ "عقيدة ورسالة العملية وأخلاق" (ومن زاد، زاد المولى في فضله) مقدّم على العلوم الأخرى والثقافة والعمل التطوعي وخدمة المجتمع والتجارة فضلاً أنه مقدم على اللعب واللهو.
4. الدين وعلوم تطوير الذات اتفقت كلمتهم على وجوب رسم خطة للحياة لتحقيق الأهداف وتطوير الذات ومنهج الدين هو المنهج المقدم في رسم تلك الخطط.
5. هذه نصائح للكاتب قبل القارئ فعلى الكاتب تطبيق ما قرر وعلى القارئ قبول النصيحة فعن المولى الإمام الجواد (عليه السلام): "المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن

ينصحه " (9) .

نفة روافة

عن الصادق عليه السلام " لفة السفا على رؤوس أصحابف فف ففقفها فف الفلال والفرام" (10) .

.....